

الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

[271] الرسول، وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه (1)، لانهم يردون المتشابه إلى المحكم الذي يبين أهداف ومرامي الله تعالى، ويوجه التعبير في المتشابهات ليفيد المعنى المقصود، ويبين بعض ما خفي من وجوه وخصوصياته. لا بد من وجود المتشابه في القرآن؛ وينقل الرازي: أن من الملاحظة من طعن في القرآن لاشتماله على المتشابه، إذ كيف يكون مرجعا للناس في كل عصر، مع وفرة دواعي الاختلاف فيه، حيث يجد كل صاحب مذهب فيه مأربه، فان هذا لا يصدر عن الحكيم (2). ولعل ما ذكرناه فيما تقدم يكفي في الإجابة عن هذه الترهات. ونزيد هنا ما ذكره العلامة الطباطبائي، فإنه قال ما حاصله: إنه كان لا محيص عن وقوع التشابه في القرآن، لانه كان يجري في تعابيره الرقيقة مع أساليب القوم، مع سمو معناه، وعمق مغزاه، في مقابل انحطاطهم في المستوى الفكري والثقافي. وقد جاء القرآن بمفاهيم جديدة، كانت غريبة عن نوعية أفكار ومفاهيم المجتمع البشري آنذاك، ولا سيما في جزيرة العرب، البعيدة عن الثقافة والمعرفة، في حين التزامه في التعبير عن تلك المقاصد العالية بنفس الأساليب التي كانت معروفة في ذلك العهد، الأمر الذي ضاق بتلك الالفاظ التي كانت موضوعة للتعبير عن معان محسوسة، أو قريبة من الحس، ومحدودة في نطاق ضيق، تتناسب مع ذهنية العربي وثقافته والتعبير عن معان مبتذلة - لقد ضاق الأمر بتلك الالفاظ - عن أن تحيط بتلك _____ (1) النساء: 83. (2) تفسير الرازي